الاحتلال البريطاني لفلسطين عام ١٩١٧

إعلان الحماية البريطانية على مصر ١٩١٤

احتلال الفرنسيين لسوريا ولبنان

سياسة الانتداب وتكريس التجزئة بإقامة الكيانات المصطنعة في أجزاء الوطن العربي .

احتلال فلسطين:

تولى الجنرال اللنبي في تموز ١٩١٧م قيادة القوات البريطانية في فلسطين أما الجيش العربي الذي كان يقوده فيصل بن الحسين فقد تركزت مهمته على حماية الجناح الايمن للقوات البريطانية فضلاً عن التعاون مع جماعات المقاومة من العرب وكذلك السيطرة على شرق الاردن وحوران وفتح الطريق الى دمشق.

كانت القوات البريطانية المتجمعة في جبهة غزة- بئر السبع والتي أوكلت اليها مهمة احتلال فلسطين تمتاز بتفوق عددي مهم من حيث الجند والعتاد والتسليح فضلاً عن هبوط الروح المعنوية ان لم يكن انعدامها لدى الجيش العثماني. يضاف الى ذلك ما تكبده هذا الجيش بسبب الجوع وفشل القيادة العثمانية في نقل قوات مختارة جديدة لدعم قواتها في جبهة فلسطين. ويأتي في مقدمة هذا كله الدعم والاسناد العربي المتمثل بقوات فيصل بن حسين التي شلت حركة قطعات مهمة من القوات العثمانية وهكذا قرر اللنبي الاسراع بشن هجوم قبل ان تصل قوات الصاعقة العثمانية التي قررت القيادة العثمانية ارسالها لدعم قطعاتها العسكرية.

وفي ٣٠ تشرين الاول ١٩١٧م اقتحم البريطانيون الجبهة الفلسطينية في منطقة بئر السبع وسرعان ما تغلبوا على الدفاع العثماني الممتد على خط غزة- بئر السبع .وكان لتفوق البريطانيين العددي وتنظيمهم التموين وطرق المواصلات اثر في دحر العثمانيين نهائيا محققين نجاحاً كبيراً وشرعوا بالزحف شمالا. وفي ١٦ تشرين الثاني احتلت

القوات البريطانية يافا وفي ٩ كانون الاول ١٩١٧م دخلت القدس.

ان احتلال بريطانيا للارض العربية الفلسطينية كان بداية للتصادم العربي البريطاني وذلك ان البريطانيين قد تعهدوا بموجب مراسلات حسين- مكماهون ان تكون فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الدولة العربية الموحدة في المشرق العربي والتي ستحصل على الاستقلال الكامل بعد الحرب الا انهم تخلوا عن التزامهم هذا وسعوا بكل قواهم لتحويل هذا البلد العربي الى وطن لليهود وذلك بالعمل على تأسيس كيان صهيوني فيه بموجب تصريح وزير الخارجية البريطاني بلفور الذي اصدره في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م قبل دخول القوات البريطانية القدس بأكثر من شهر.

إعلان الحماية على مصر :

في ٥ آب ١٩١٤م اجبر المحتلون البريطانيون رئيس وزراء مصر على اصدار بيان بقطع جميع العلاقات مع الدول المعادية لبريطانيا ومنع هذا البيان سكان مصر من مراسلة رعايا هذه الدول او المتاجرة معها. كما حظر على السفن المصرية دخول مرافئ الاعداء. وفي الوقت نفسه دعا البيان جميع سكان مصر الى مد يد المساعدة الى بريطانيا بكل ما يمكن من الوسائل، بينما منحت القوات البريطانية نفسها حق استخدام اراضي مصر وموانيها للعمليات الحربية. وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٤م اعلنت الاحكام العرفية في مصر، وغدت السلطة العليا بيد الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية فيها. وصاحب ذلك القاء آلاف من الوطنيين في السجون والمعتقلات او ابعادهم الى الواحات النائية او الى جزيرة مالطة واغلقت معظم الصحف الوطنية ووضع المتبقي منها تحت رقابة عسكرية بريطانية صارمة.

ووجدت بريطانيا في الحرب فرصتها السانحة لاسباغ نوع من الشرعية على حكمها العسكري الاستعماري في مصر فأعلنت في ١٨ كانون الاول ١٩١٤م انفصال مصر عن الدولة العثمانية ودخولها تحت الحماية البريطانية.

في كانون الثاني ١٩١٥م اصبح هنري مكماهون مندوباً سامياً على مصر في تشرين الثاني ١٩١٦م حل محله ريجنالدوينجيت ورغبة من المحتلين في سير الادارة في مصر بالشكل الذي يلبي رغباتهم دون عائق او معارض خلعوا في ١٩ كانون الاول ١٩١٤م الخديوي عباس حلمي الثاني الذي كان في اسطنبول آنذاك لانه لم «يتفاهم» مع السلطات المحتلة، وبسبب ما قيل من موالاته للدولة العثمانية، استعاضوا عنه

بصنيعتهم الامير حسين كامل منعمين عليه بلقب السلطان، وفي ١٩١٧م رفض كمال الدين حسين بعد وفاة والده حسين كامل التربع على العرش، اذ رفض ان يكون آلة بيد البريطانيين. وعندئذ اختار البريطانيون احمد فؤاد الدين الابن الاصغر للخديوي اسماعيل.

لقد استغلت بريطانيا طيلة ايام الحرب اموال مصر وثرواتها واهلها ابشع استغلال لصالح هذه الحرب الاستعمارية التي ليس للمصريين فيها ناقة او جمل. وكان الناس يجبرون على العمل بنظام السخرة ووضع الانتاج الزراعي والموانئ المصرية والمواصلات والصناعة تحت تصرف الجيش البريطاني. وقد ذهب ضحية السخرة في فيالق العمل البريطانية التي كانت مدة العمل فيها ستة اشهر ما يقارب من ٣٠ الف مصري وجاوز من عانى منهم من هذه الاعمال الشاقة لصالح القوات المحتلة مليون انسان مصري.

وقد سبب ذلك سخطاً كبيراً في صفوف ابناء الشعب المصري ساهم بشكل كبير في انضاج مشاعر الكراهية للمستعمر وتغذية التطلعات العربية حتى بلغت حدا خطيراً على المصالح البريطانية في مصر اواخر سني الحرب العالمية الاولى.

ففي ٨ نيسان و ٩ تموز ١٩١٥م قام المناضلون المصريون بمحاولتين للقضاء على السلطان حسين كامل عميل بريطانيا. وفي ١٠ آب ١٩١٥م حاولوا اغتيال حسين رشدي رئيس الوزراء ثم اعقبت ذلك بأقل من شهر محاولة لاغتيال وزير الاوقاف.

وهكذا تعاظم نمو الحركة الوطنية المصرية ابان سني الحرب مؤثرا ومتأثرا بحركة الوعي القومي العربي التي سادت الارض العربية اثناء سنوات الحرب حتى تأججت على شكل سلسلة من الثورات العربية العارمة كانت طليعتها ثورة الشعب المصري عام ١٩١٩م التي جسد فيها كل استعداده للتضحية من اجل التحرر والاستقلال والوحدة.

احتلال الفرنسيين لسوريا ولبنان:

بعد خمسة ايام من تحرير دمشق من السيطرة العثمانية في ١٩١٨م اصدر فيصل ابن الحسين بيانا شكر فيه الشعب العربي السوري على ما ابداه من تعاون مع الجيش العربي. ثم اعلن عن تشكيل حكومة عربية دستورية مستقلة في جميع الاراضي العربية السورية. في الوقت نفسه احتلت القوات الفرنسية بيروت وبعض المناطق الساحلية من لبنان تنفيذاً لاتفاقية سايكس - بيكو.

ثم تلقى فيصل بن الحسين امرا من والده بالسفر الى اوربا ليمثله في مؤتمر الصلح

في باريس. وقد القى فيصل بن الحسين خطابا في المؤتمر طالب فيه بحق العرب في الحرية والاستقلال لكن فيصل بن الحسين جوبه بمقاومة استعمارية تمثلت بالصهيونية التي تعمل لاقامة كيان لها في فلسطين. وفرنسا التي كانت تتهيأ لوضع يدها على سوريا ولبنان وبريطانيا التي كانت تتحفز لتثبيت سيطرتها على فلسطين وشرق الاردن والعراق.

لقد استجاب المؤتمر للمطامع الاستعمارية ووضع اتفاقية سايكس بيكو موضع التنفيذ على الرغم من اصرار الشعب العربي على الاستقلال، والذي تجسد فيما بعد في استفتاء لجنة كنج- كراين الاميركية سنة ١٩١٩م التي تجولت في سورية ولبنان وفلسطين ولمست رغبة عارمة في الوحدة والتحرر ونفوراً من اي تدخل اجنبي، الامر الذي اكد عمق الروابط القومية بين ابناء العرب وتطلعاته المشروعة نحو تحقيق امانيه التي ناضل كثيراً من اجلها.

اضافة الى هذا فقد قرر مؤتمر الصلح تفتيت الوحدة السورية باقامة كيان في لبنان يضم أقضية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا من سورية وابدال حامياتها البريطانية باخرى فرنسية تنفيذاً لاتفاقية سايكس-بيكو التي مزقت الارض العربية بقصد تكريس التجزئة والحيلولة دون وحدة ارضنا وامتنا العربية.

ان قرار بريطانيا بالجلاء والذي استثني منه شرق الاردن قد تم مقابل موافقة فرنسا على تخليها لبريطانيا عن ولاية الموصل، ووضع فلسطين تحت السيطرة البريطانية المنفردة بدلاً من الادارة الدولية المنصوص عليها في اتفاقية سايكس-بيكو. وهكذا ضربت مصالح الشعب العربي عرض الحائط، وانكشف الزيف الاستعماري.

برزت عملية التحدي العربي للسيطرة الاستعمارية الاوربية في اجتماع المؤتمر السوري العام في دمشق في ٦ آذار ١٩٢٠م واصداره قرارا اعلن فيه استقلال سوريا «بما فيها فلسطين ولبنان» وجعلها دولة ملكية دستورية ذات سيادة تحت حكم الملك فيصل، واضيف الى القرار بند يحفظ للبنان حقه المكتسب في الحكم الذاتي داخل اطار الوحدة السورية. واجتماع الزعماء العراقيين في دمشق ايضا واصدارهم قراراً مماثلاً.

ولكن هذه القرارات وان عبرت بجلاء عن الارادة الشعبية العربية بالوحدة والاستقلال، الا انها لم تكن تؤدي الى نتيجة عملية مباشرة لان العراق وفلسطين وقعتا بيد المحتلين البريطانيين في حين سقطت المناطق الساحلية من سوريا بيد الفرنسيين.

وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٠م اجتمع المجلس الاعلى للحلفاء في سان ريمو في ايطاليا وقرر فرض نظام الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين بعد ان قسم المؤتمر الشام

الى ثلاثة اقسام هي (فلسطين ولبنان وما تبقى من سوريا) وفرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، واضيفت فقرة تنص على ان الانتداب على فلسطين سيلتزم بتنفيذ تصريح بلفور او وعده. وقد ولد اعلان هذه القرارات الجائرة شعورا بالسخط في كل الارض العربية.

وسارعت فرنسا الى وضع قرارات سان ريمو موضع التنفيذ حين وجهت الى فيصل انذاراً في ١٤ تموز ١٩٢٠م تضمن خمسة شروط لا بد من الامتثال لها خلال اربعة ايام وبعكسه فان الحكومة الفرنسية تهدد «بأن تكون مطلقة اليد في العمل»، اي انها ستحتل سوريا بعد ان احتلت لبنان. أما الشروط الخمسة فهي:

١- تسليم سكة حديد رياق- حلب الى السلطة العسكرية الفرنسية. وهذا يعني احتلال القوات الفرنسية لمحطات حلب ورياق وبعلبك وحمص وحماه مع مدينة حلب نفسها.
٢- تسريح الجيش الوطني والغاء التجنيد الالزامي.
٣- قبول الانتداب الفرنسي قبولا غير مشروط.
٤- تداول العملة النقدية التي فرضتها الادارة الفرنسية.
٥- الضرب على ايدي العصاة (ويقصد بهم قادة المقاومة العربية الذين وقفوا بوجه الاستعمار الفرنسي).

قرر فيصل بن الحسين وحكومته قبول الانذار، وارسل يعلم (غورو) بذلك، وبدأ بتنفيذ الشروط (تسريح الجيش) فقامت المظاهرات احتجاجاً واستولى المتظاهرون على بعض الاسلحة واصطدموا بقوات فيصل بن الحسين ووقعت بعض الضحايا، فاتخذ المؤتمر السوري قراراً بعدم شرعية اية حكومة تقبل الانذار.

جمع وزير الحربية (يوسف العظمة) شتات من بقي من الجنود غير المسرحين، وقرر رغم التفاوت الكبير في العدة والعدد بين قواته والقوات الغازية ان يخوض المعركة، فكانت (معركة ميسلون) الشهيرة التي استشهد فيها يوسف العظمة مع كثير من الابطال مؤثرين الموت على السماح للعدو ان يطأ ارض بلادهم، ودخل غورو مدينة دمشق في ٢٥ تموز ١٩٢٠م واعلن الغاء الحكومة العربية وابعاد فيصل بن الحسين من البلاد.